المقاومة الشعبية ضد الاحتلال البريطاني 1899م-1921م
ثورة محمد عبد الله حسن أنموذجا

أ : نايل سليمان
جامعة محمد الشريف مساعدية
سوق أهراس (الجزائر)

الملخص :

شهدت بلاد الصومال في نهاية القرن 19 م, حركة استعمارية أوربية كغيرها من البلدان العربية والأفريقية, ونظرا لموقع الصومال الاستراتيجي جعله هدفا للتنافس الأوربي خاصة البريطاني والفرنسي والإيطالي حيث تم تجزئته جغرافيا وفصل قبائله , وحاولوا تحطيم بنيته الاجتماعية والعمل على محو هويته العربية الإسلامية .

لكن الشعب الصومالي ومنذ دخول المستعمر أرض الصومال وهو يحاول وينتظر الفرص لدحره ,إلى أن برزت شخصية صومالية تحمل صفات القائد الديني العسكري للثورة , والتي تمثلت في شخصية (محمد عبد الله حسن) الذي عمل على توحيد الصوماليين ,لتخليص بلاده من الاستعمار, ورغم المؤامرات المحلية والاستعمارية إلا أنه ظل مقاوما مدة 20 سنة (1899 – 1920) حقق فيها الكثير من الانتصارات العسكرية , وبث الروح الوطنية في نفوس الشعب الصومالي .

Abstract :

Somalia witnessed at the end of the 19th century a European colonial movement like other Arab and African countries, and due to Somalia's strategic location, it made it a target of European competition, especially the British, French and Italian, as it was divided geographically and separated its tribes, and they tried to destroy its social structure and work to erase its Arab-Islamic identity.

But the Somali people, since the colonial entry into Somaliland, trying and waiting for opportunities to defeat it, until a Somali figure emerged bearing the characteristics of the religious and military leader of the revolution, which was represented by the character (Muhammad Abdullah Hassan) who worked to unify the

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

Somalis, to rid his country of colonialism, despite local conspiracies. And colonialism, but he remained a resistance for 20 years (1899 - 1920), during which he achieved many military victories, and spread the national spirit in the souls of the Somali people.

المقدمـــة :

تعتبر بلاد الصومال معبرا للشعوب بين قارتي أسيا وإفريقيا، كما أنها تنتمي إلى قارة عرفت مولد أقدم الحضارات قبل ظهورها في مناطق أخرى من العالم مثل الحضارة المصرية وبلاد النوبة والحبشة وغيرها من الحضارات، لكن جراء تعرض القارة لحملات الاستنزاف والاستبداد، والإساءة إلى تاريخها وحضارتها ساد الاعتقاد أن الأفارقة لا تاريخ ولا ماض لهم لذا أطلق على القارة الإفريقية اسم القارة المظلمة.كما قال المؤرخ "باسيل دافيد سون" في كتابه : افريقية القديمة تكتشف من جديد، ترجمة نبيل بدر :((لقد افترى العالم على الإفريقيين وأنكر عليهم أن يكون لهم حضارة قديمة من صنع أيديهم وقيل في ذلك: أنه لو كان لهم تاريخ فإنه لا يستحق الرواية)) .

لكن كثرة التجارب التي مرت بها شعوب قارة إفريقيا جعلتها تتفطن إلى أساليب وحيل المستعمرين في سبيل استنـــزاف دمائهم وخيراتهم، وطمس هويتهم فأخذت الأفكار التّحررية تنتشر في جميع أرجاء هذه القارة، وهو ما حدث للصومال لما يتمتع به من موقع استراتيجي هام، حيث تمّ تقسيمه إلى خمسة أجزاء وزعت بين كل من: بريطانيا وفرنسا وايطاليا وكينيا والحبشة .

ومنذ دخول المحتلين لأرض الصومال والشعب يبغضهم ، وكان حتما أن يثور عليهم ويتحين الفرص لذلك ، الى أن ظهر السيد محمد بن عبد الله حسن (1273هـــ- 1856م /1338هـــ- 1920م) الذي اعتبر رائد القومية الصومالية، في الفترة التي برزت فيها (ثورة أحمد عرابي) بمصر و (ثورة أحمد محمد المهدي) بالسودان. هذا السيّد كما لقبه أتباعه خاض صراعا شديدا في توحيد كلمة الصوماليين وتعبئة الشعور القومي، كما كان عليه أن يحارب ثلاث دول كبرى وهي بريطانيا وايطاليا وفرنسا بالإضافة إلى إمبراطورية الحبشية .

يتناول هذا الموضوع إحدى أهم المقاومات الشعبية الإفريقية ضد الاستعمار مع مطلع القرن العشرين (20م) (1317هـــ- 1899 م/ 1338هـــ- 1920م)، بقيادة محمد بن عبد الله حسن نور.الذي حمل على عاتقه تحقيق هدفين أساسين هما :

لمّ شمل الصوماليين تحت لواء واحد، و تخليص بلاده من المستعمرين خاصة الاستعمار البريطاني لأن مقاومته تركزت أساسا ضد البريطانيين بحكم شدة المواجهة معهم سياسيا وعسكريا وكان مسرح المقاومة في ما عرف

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بالصومال البريطاني، بالرغم من أنه وجّه حركته في الأول ضد الأحباش (إثيوبيا) ثم ضد الانجليز الذي استفحل أمرهم بالصومال، فأعلن الجهاد وظلّ مقاوما طوال العقدين من الزمن منذ ألف (1899م-1920م) حقّق فيها الكثير من الانتصارات بالرغم من الدسائس والمؤامرات .

وترجع أهم أسباب اختيارنا لهذا الموضوع ، كونه يعد حلقة من حلقات البحث في تاريخ الأمة الإسلامية عامة وتاريخ إفريقيا خاصة في فترة عرفت التوسع الاستعماري في أبشع صوره، وتعرضت الوحدة الصومالية الى التجزؤ إلى مناطق نفوذ بريطانية ، وإيطالية، وفرنسية وحبشية .

كذلك الرغبة في إلقاء الضوء على بعض الشخصيات والأحداث التي تركت أثرا في نفوس الشعوب والأعداء، وكونت بدورها القاعدة الأساس لبروز حركات التحرر فيما بعد ونيل الاستقلال .

وحاولنا تقديم الموضوع بطريقة علمية أكاديمية ، معتمدين على المنهج التاريخي أي الوقوف على أهم الأحداث التاريخية خلال فترة (1899 م- 1920 م)ومنهج وصفي تحليلي للأحداث ، وطرح الاستنتاجات التاريخية بالإثباتات ، والاعتماد على معلومات من مصادرها ، للوصول إلى أجوبة للسؤال المطروح :

ما طبيعة هذه الثورة ،وأبرز نتائجها على الشعب الصومالي في ظل الاحتلال البريطاني ؟ .

وقد تناولت بعض الدراسات العربية والأجنبية هذا الموضوع إلا أنها قليلة ، وعادة ما تتناول جوانب منه ، فهناك رسالة ماجستير لـــ:"عبد الله الشيخ مبارك" تحت عنوان (ثورة الدراويش) نوقشت سنة 2000م باليمن غير منشورة، وهناك دراسة أخرى لـــ: علي محمود علي معيوف في كتابه (تاريخ حركة الجهاد الإسلامي الصومالي ضد الاستعمار خلال الفترة بين عامي (1899م و 1920م)، وعبد الصبور مرزوق : ثائر من الصومال، ومحمد سيد المعتصم : مهدي الصومال، ومن المصادر الأوربية نجد jardine Douglass في كتابه : The Mad Mullah Of Somaliland .

1 -1 التنافس الاستعماري الأوربي وتقسيم الصومال(1302هـــ، 1884م - 1317هـــ، 1899م):

أ) التنافس الاستعماري في بلاد الصومال :

ازدادت أهمية منطقة شرقي إفريقيا للدول الكبرى الاستعمارية بعد افتتاح قناة السويس عام 1286هـــ، 1869م [1]، لذا فإن الدول الأوروبية تسابقت للسيطرة على قارة إفريقيا عامة وساحلها الشرقي خاصة، فاستولى البلجيكيون على الكونغو والفرنسيون على تونس واحتل الإنجليز مصر. وباحتلال بريطانيا لمصر أصبحت أملاك الأخيرة على ساحل البحر الأحمر في شرقي إفريقيا هدفًا لأطماع المستعمر. و عليه فقد تشابكت مصالح كل من إنجلترا وفرنسا وإيطاليا في منطقة واحدة .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

دعت بريطانيا ألمانيا إلى عقد مؤتمر دولي لشؤون إفريقيا في برلين [2] يجمع الدول المتصارعة مع روسيا و الدنمارك، والسويد، وايطاليا، وتركيا، والولايات المتحدة الأمريكية، واتخذ المؤتمر مجموعة من القرارات، كان أحدها وقوع شرق إفريقيا بعد التقسيم تحت الاستعمار، ونركز هنا على تجزئة بلاد الصومال، فاحتلت بريطانيا الجزء الشمالـــي من الصومال المعروف حاليا بجمهورية أرض الصومال واحتلت إيطاليا الصومال الجنوبي وسيطرت فرنسا على" جيبوتي " التي كانت تعرف بالصومال الفرنسي .

وفي عام 1897م عقدت كل من بريطانيا وفرنسا وإيطاليا مجموعة من الاتفاقيات مع الحبشة مكنت هذه الأخيرة من الاستيلاء على جزء كبير من الصومال، بالإضافـــة إلى استيلاء كينيا على جزء من أرض الصومال.

ب) تقسيم بلاد الصومال :

تم تقسيم الصومال [3] بين بريطانيـــا و فرنســـا و ايطاليا والحبشة وكينيا، وسمي كل قسم باسم الدولة المستعمرة فأصبح هناك :

- الصومال البريطاني: يمتد من رأس جيبوتي على الساحل الجنوبي لخليج تاجوراء إلى بندر زيادة بين خطي طول 49° درجة شرقا و43° درجة غربا، أما الداخل فيمتد الإقليم إلى خط عرض 8° درجة جنوبا، ويطل على خليج عدن بامتداد 400 ميل مربع 643.6كلم و يقع بين صوماليا والصومال الفرنسي وإثيوبيا ويتكون من سهل ساحلي ضيق يبلغ اتساعه نحو اثني عشر ميلا، ويمتاز هذا الإقليم بالجفاف، وتبلغ مساحته حوالي 68000 ميل مربع أي ما يعادل 176000 كلم^2 و يشمـــل زيلـــع و بربرة .

- الصومال الايطالي : يشمل عصب و بنادر و مصوع .

- الصومال الفرنسي : يشمل منطقة جيبوتي وهي (أوبوك ، تاجورا ، أمياد) .

أما الحبشة فقد ضمت إقليم"هرر" [4] ومنطقة "أوجادين"، ومنطقة " الهود ". كما أخذت كينيا جزءا من جنوب الصومال المتاخم لحدودها سمي بالصومال الكيني .

اتخذ الصومال بعد تقسيمه بين كل من بريطانيا وفرنسا و ايطاليا والحبشة، وضعا سياسيا جديدا بأقسامه الأربعة وقد عملت هذه الدول على تمزيق الوطن الصومالي الواحد إلى عدة أوطان مستقلة عن بعضها [5] فكان لهذا التقسيم آثار منها :

- اختلاف الأنظمة في أقسام الصومال فكل قسم يتبع نظام دولة من الدول .

- تحديد حرية التنقل بحدود دولة معينة، فكان لابد من الحصول على إذن خاص من الدولتين للانتقال من قسم إلى قسم أخر، وعلى سبيل المثال كانت بريطانيا تحكم كلا من شمال الصومال، وجزء من الصومال الغربي ،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وجزء آخر من الجنوب الغربي، ورغم إن كل هذه الأجزاء متصلة، إلا أنه لا يسمح لسكانه التنقل من جزء إلى آخر، ورغم أنها تحت حكومة واحدة ، والهدف من ذلك هو:

- الحد من نشاطات السكان، حتى لا يتصلوا ببعضهم البعض تطبيقا لسياسة " فرق تسد ".

- خلق مشاكل بين القبائل، وذلك بمنع التنقل من جزء إلى جزء داخل المحمية الواحدة، بل وتقسيم المحمية إلى أجزاء صغيرة.

- جذب عناصر ضعاف النفوس من الصوماليين، للعمل مع سلطات الاحتلال ضد مواطنيهم مستغلين بذلك فقرهم وحاجتهم للمال .

- اتصال الانجليز بالعقلاء وسلاطينهم مثل: سلطان الوارسنجلي الذي وعد الانجليز بإقناع عقلاء الوارسنجلي بالوقوف في صف الانجليز [6].

إن أهم ما يميز الصومال بعد التقسيم أو اجتياح الاستعمار ضعف الحكم المركزي، الذي نتج عنه قيام دويلات وسلطنات ببعض المدن بعض حكامها كانوا عونا للاستعمار خاصة الانجليز، والبعض كان مقاوما للاستعمار خاصة الحبشي، ومثال ذلك مقاومة سكان قرية مردف " لفولي "حاليا بإقليم بنادر بزعامة "محمد ابيكر اوباي" سنة 1886م، و أمير مدينة هرر "عبد الله محمد" الذي تصدّى لحملة الحبشيين بمكان" قولي" وهزمهم، إلا أنه انهزم في الحملة الثانية في فيفري 1887م بقيادة "منيليك" بمساعدة الدول الغربية بريطانيا وفرنسا وايطاليا [7] احتلوا المدينة، ويعتبر هذا الاحتلال نكسة كبيرة للإقليم ثم احتل إقليم أوجادين سنة 1889م وتم عقد معاهدة لتخطيط الحدود بين إقليم غرب الصومال ومحمية الصومال البريطاني في جوان 1897م [8].

بدأ الصومال يعرف أسوأ الأوضاع، وتوقفت حركة المقاومة لمدة تقارب (10) سنوات حيث أن البلاد كانت بحاجة إلى من يلم شملها، وتخليصها من الاستعمار إلى أن ظهرت شخصية " محمد عبد الله حسن" الذي حمل على عاتقه هذه المهمة، وقاوم لمدة عقدين كاملين .

جـــ) نبذة عن شخصية محمد بن عبد الله حسن (1856 – 1920 م) :

ولد محمد بن عبد الله حسن نور بقرية " قوب فردوت" [9] في عام (1273هـــ - 1856م) بمنطقة "نوجال Nogal" بالقرب من "بوهودلي Bohotlie" في شمال الصومال، من عشيرة "بمجري- Bah Geri " إحدى عشائر الاوجادين فرع من قبيلة "داورد" [10].

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أبوه عبد الله بن حسن نور ينتمي الى قبيلة " بهجري "، وهي أحد بطون قبائل الاوجادين وقد ترك أبوه مسقط رأسه واستقر بين"الدولباهانتا" عام 1826م وتزوج منهم فأنجب ابنه عبد الله، وأمه تمر بنت صيد تنتمي إلى هذه القبيلة "الدولباهانته" وهم من رجال البادية [11] . إذن فالسيد محمد من أبوين ينتميان إلى أشرف القبائل وهي قبائل "الدارود أو الداروت" بن إسماعيل الجبريتي العقيلي وهي قبيلة عربية ترجع أصولها إلى " عقيل بن أبي طالب" كان لها الفضل في انتشار الإسلام في شرق إفريقيا [12].

نشأ محمد في بيئة اشتهرت بالشجاعة والبسالة وأكثر تديّنا من البدو الصوماليين العاديين وهو ما أكسبه صفات تجلّت في شخصيته أثناء كفاحه ضد المستعمرين.كما تربّى السيد محمد تربية دينية حيث أرسله أبوه إلى مدارس القرآن،فبدأ في الثامنة من عمره يحفظ القرآن الكريم وأتم حفظه في سن العاشرة ، وتعوّد منذ الصغر أن يرتاد مجالس العلماء فنجده تلقى الكثير من العلم والأدب ومبادئ اللغة العربية وعلوم الشريعة على يد الشيوخ المحليين ولما رأى معلمه دلائل النباهة والذكاء فيه، تمسك به وأصبح مساعدا له، وبعد مضي خمس(5) سنوات أصبح معلما للصبيان بمفرده ، ولما بلغ سن التاسعة عشر لقب باسم "الشيخ محمد" لعلمه وتقواه [13].

بعد وفاة والده، ارتحل مع أمه إلى الشمال الصومال"الدولباهنتا" حيث يسكن أخواله وعاش فترة من الزمن معهم ، تعلم خلالها على يد شيوخ من العرب والصوماليين أصول الفقه والسيرة وعلم الحديث وبعض العلوم الرياضية والفلكية، دون قطع اتصاله بالاجاودين[14] . كما زار عدة مراكز إسلامية في "هرر- مقديشو"، ورحل إلى السودان ونيروبي "كينيا".

كانت هذه بداية حياته في بلده الصومال المستقل آنذاك الخاضع لسلطة مسلمة (كان الصومال في هذه الفترة يعيش الأيام الأخيرة من الحكم المصري في عهد الخديوي إسماعيل (1863م-1879م)، وصل بعده الاحتلال الانجليزي تدريجيا منذ سنة 1884م [15]، لكن أثناء زيارته هرر قصد تلقي العلم كان شاهد عيان لانتهاك الانجليز حرمة بلاده، وهم يحلون محل المصريين في هرر قبل دخولها من طرف الأحباش. و احتل منيلك ملك الحبشة هرر سنة 1887م[16]. وحسرة السكان على ذهاب الحكم المصري ونقمة علمائه على تصرفات الأوربيين ضد المسلمين بالصومال، فكانت من بين العوامل التي زادت في روحه الثورية وسعيه لشن حرب جهادية ضد قوى الاستعمار الأوربي الحبشي، فضلا على نشر الدين الإسلامي بين الشعوب، كما أنه رحل إلى مقديشو التي كانت آنذاك ملتقى طلاب العلم لانتشار المدارس في مساجدها [17] قبل أن يقرر السفر الى الحجاز لما بلغ عمره 24 سنة رفقة ثلاثة عشر شيخا وصديقا ، وقد ذكرهم بأسمائهم الكاتب عبد الصبور مرزوق في كتابه : " ثائر من الصومال الملا محمد بن عبد الله حسن".

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مكث السيد محمد حوالي ست (6) سنوات، حيث درس علوم التفسير والحديث والفقه وكان يعود إلى الصومال على فترات، زار مصر وبقي مدة بالأزهر الشريف في رواقي الزيالعة والجبرتية وصاحب علماء مصر، وتحصل على هدايا منهم وهي عبارة عن كتب عاد بها إلى وطنه، كما أنه رحل إلى اليمن لتلقي العلم وقيل أنه زار أيضا فلسطين .

السيد محمد خلال رحلاته في طلب العلم في البلدان الإسلامية قد أحس بالخطر الذي يواجه الإسلام من طرف الدول الاستعمارية الممثلة للنصرانية الغربية، خاصة عندما كان بالحجاز أين وقف على حال المسلمين ومحاولات الشعوب الأوربية تقطع أوصال الأمة الإسلامية، وقد أتاحت له فرصة الحج معرفة أخبار الثورة العرابية في مصر، وثورة الزعيم محمد أحمد المهدي بالسودان، وقد تأثر بهما وبأهدافهما من أجل استخلاص الوطن إلى أبنائه من حكم الدول الاستعمارية التي راحت تبسط سيطرتها هنا وهناك في ديار الإسلام والمسلمين [18].

اتصل السيد محمد بن عبد الله حسن في مكة بالدعوة الخاصة بالطريقة الأحمدية، والتقى بمؤسس الطريقة الصالحية " الشيخ محمد صالح الرشيدي السوداني"1853م-1917م، الذي بدأت طريقته في الانتشار بشبه الجزيرة العربية عبر البحر الأحمر إلى شرق إفريقيا، فتعلم على يديه، واقتنع بدعوته وأخذ العهد على التزام طريقته ، فاختاره السيد محمد صالح في إحدى زياراته إلى مكة، ليكون ممثل الطريقة الصالحية بالصومال، وأصبح من أشهر خلفائه فاتخذ السيد محمد عبد الله حسن الطريقة لجمع شمل الصوماليين، وتخليصهم من البدع والخرافات السائدة في المجتمع للوقوف صفا واحدا أمام المستعمرين[19].

1 -2 أهم وقائع ثورة محمد عبد الله حسن ضد الاستعمار البريطاني :

أ) ضد الأثيوبيين :

يرجع الصراع بين الصوماليين الإثيوبيين منذ قدوم البرتغاليين إلى يومنا هذا ،الأمر الذي خلق كره شديد في نفوس الصوماليين تجاه الأحباش ، فلا غرابة أن يقابل الغزو الحبشي لمنطقة (الاجاودين) برفض تام من طرف السكان [20].

نجد أن هناك عوامل جعلت من السيد محمد عبد الله يوجه حركته ضد الأحباش أولا ، نذكر منها :

- أعمال الحبشة الفظيعة المرتكبة في حق الصوماليين وأملاكهم منذ دخولهم إقليم (الاوجادين) حيث استولى (منيلك الثاني) على هرر في يناير 1887م ، وتوغل الأحباش عام 1889م إلى جنوب هرر ، وواصلوا شن غاراتهم من هرر على منطقة (أوجادين) ، ممارسين عمليات النهب والسلب والحرق وهدم القرى ...[21].

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- رغبة الملك (منيلك الثاني) للاستيلاء على مساحة واسعة من أراضي الصومال .

- تعاون الإثيوبيين مع البريطانيين على ضرب حركة السيد محمد ، بالإضافة إلى وجود اضطرابات داخل الحبشة نفسها [22].

معركة جيكجيكا (Jig Jigga) [23] مارس 1900م :

لم تكن لدى السيد محمد النية في الاصطدام مع الأحباش أولا حتى تاريخ فبراير 1900م ، بسبب انه كان بصدد تحضير حملة ضد قبائل (الاسحاق) في الصومال البريطاني ، وحملة أخرى ضد موانئ المحمية البريطانية ، لكن الحدث الذي جعل السيد محمد يوجه هجومه إلى الأحباش أولا بدلا من قبائل (الاسحاق) هو :

- قيام جارازماتش بانتي (Garazmatch Bante)[24]: (قائد حبشي قاد حملة ضد السيد محمد بأوامر من الملك منيليك)، لكن حملته باءت بالفشل قبل دخوله المعركة في فبراير 1900م بحملة ضد السيد محمد حيث غادر هرر ومعه ألف ومئتا رجل قاصدا (دججبور – Daghbur) على بعد حوالي (30ميلا ....كلم) شرق(ميل ميل Mil Mil) ، مكان تواجد إتباع السيد محمد ، لكنه لم يتقدم إليها وتوجه إلى جيكجيكا وبنى زريبته من الأشواك ، كما انضمت قوة أخرى قادمة من (أديس أبابا) للحاق بجارازماتش تتكون من كذلك من(1200 رجل)، بقيادة (ديجاتش بيروDejach Beroo) ، لما علم السيد محمد بذلك كان قد تحرك إلى (بولاليه Bulaleh) تبعد عن (ميل ميل) بثلاثين ميلا ...كلم .

- في 15-03-1900م خرج السيد محمد بجزء من قواته من هاريجيت معلنا أتباعه بنيته لمهاجمة الأحباش ، وترك قوة قوامها ألف رجل مسلحين بالبنادق والخيل بزريبة (هارديجيت) ، وتوقف هو في (بولاليه) في 12 مارس ، بينما واصلت جماعته السير إلى (دججبور) التي وصلت في 14 مارس أين وجدوا الأحباش مخندقين في زريبة قوية تحيط بمورد ماء ، و لم تجر أي اشتباكات .

في 15 مارس 1900م هاجم الصوماليون الذين وصلوا (جيكجيكا) الأحباش الذين كانت لديهم قوة صغيرة (1000 رجل) ، فدخل الصوماليون المعركة وهاجموا الزريبة واستولوا على الأغنام والماشية التي كان قد نهبها الأحباش منهم من قبل، إلا انه قتل عدد كبير منهم قدر بـــ(2650 رجلا)[25]. نتيجة طبيعة تسليحهم الذي كان بالرماح فقط، في وقت لم يصل فيه حملة البنادق بعد من جهة ومخالفتهم لأمر السيد محمد بعدم مهاجمة الأحباش إلا بحضوره من جهة أخرى .

نتائج المعركة :

ترتب عن معركة (جيكجيكا) نتائج هامة على كل أطراف الصراع فعلى الأحباش :

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أثارت ذعرا شديدا في نفوسهم خاصة في هرر، حيث أصبح الأحباش يخافون من شجاعة الصوماليين الذين هاجموهم في عقر حصونهم وما يملكون من أسلحة حديثة ، بينما الصوماليين خاضوا المعركة بالرماح فقط ، فكانوا يبيتون بأسلحتهم في الشوارع مستعينين بالأطفال[26] .

أما على الصوماليين :

- الأثر الكبير الذي تركته مخلفات المعركة (قتل منهم 2650 رجل) في نفوسهم ، وبقاء السيد محمد بعد المعركة في (هارديجيت)وفضل عدم المغامرة مرة أخرى في جهة جيكجيكا بعد خسائرها الكبيرة .

- الاضطراب الشديد الذي شهده إقليم (أوجادين) بعد المعركة ، جعل من قوة الأحباش تنحصر بجيكجيكا ، خوفا من الصدام مرة أخرى مع الصوماليين .

- أما الانجليز كانت النتيجة عكس ما تمنوه وهو توقف نشاط الحركة بالإقليم ، لكن انتشار أخبار بعزم السيد محمد مهاجمة (هرر) أثارت فزعا لدى السلطات البريطانية ، وكذلك مواصلة السيد نشاطه بجمع الأسلحة والذخيرة ، وإرسال خطابات إلى القبائل المعادية له ، لحصول على مساندتهم له وفي الوقت نفسه تهديدهم في حالة الرفض .

بعد هذه المعركة فشل الأحباش في تعقب السيد محمد وقواته الذي أصبح مسيطـــرا على معظم إقليم (الاوغادين) ، وكان موقع قيادته بمنطقة (ملل) أو (ميل ميل Mil Mil)(تبعد عن (دجحبور) حوالي 30ميلا (48كلم) غربا [27]، وازداد تعداد قواته عددا وعدة ، فنجحوا في الهجوم على منطقة الهود ، واستولوا على حوالي ألفي جمل (2000) ، وهنا يظهر التحويل السريع للسيد محمد إلى مواجهة جديدة مع الأحباش ، لكن في هذا الوقت أخذت السلطات البريطانية إلى عقد تحالفات بينها وبين الإمبراطور (منيلك الثاني) من اجل ضرب تلك الحركة الناشئة قبل استفحال الأمر، وبدا ذلك في نوفمبر 1900م [28]، كان هذا التحالف بين الأحباش و البريطانيين بمثابة إعلان الحرب على المسلمين بالنسبة للسيد محمد بن عبد الله حسن ، ورأى انه الوقت المناسب لإعلان الجهاد المقدس [29].

ب) ضد الانجليز :

قبل التعرض لأهم الحملات والمعارك التي دارت بين السيد محمد والبريطانيين منذ (1900م-1921م)،يمكن تحديد وبشكل وجيز وعام للعوامل المباشرة التي ساهمت في تحويل العداء بين الطرفين إلى المواجهة الصريحة، نذكر أهمها :

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- منع السيد محمد لعمال البلدية التابعين للسلطات المحلية البريطانية من دخول إقليم (دولبهانتا) ومصادرة بنادقهم، ردت عليه السلطات البريطانية باتخاذ خطوات لمنع الإمدادات التي تصله من المدن الساحلية .

- فكرة السيد محمد في عمل حصار اقتصادي على السلطات الاحتلال بهدف كساد التجارة وإضعافها، حيث قرر باتفاق مع سلطان (حبر يونس) السلطان (نـــور) على منع كل القوافل من دخول بربرة .

- حرص السيد محمد عبد الله على استمالة القبائل الصومالية الموالية للانجليز وحتى الموظفين العاملين لدى السلطات المحلية، الأمر الذي اعتبره الانجليز موجها ضدهم كونه يكثر من أعدائهم بالمحمية .

الإغارة التي قام بها السيد محمد وأتباعه في 16 سبتمبر 1899م على مدينة (شيخ) القريبة من "ممر الشيخ جنوب مدينة بربرة "، وما تركته من تخوف البريطانيين لتوقعهم مهاجمة بربرة الأمر الذي جعل القنصل العام في المحمية يراسل وزير الهند يحثه الاستجابة لمطالبه العسكرية لمواجهة تزايد قوة السيد. (30) .

- غض النظر من طرف الأثيوبيين عن إقامـــة السيد محمد في منطقة (ميـــل ميـــل) بل وسيطرته على اقليـــم (الاوجادين) وهو الأمر الذي أثار البريطانيين في البداية ، الا أنهم وجدوا فيما بعد التعاون والسند من طرف الاثيوبيين ، وبالتالي شكلوا تحالفا ضد السيد محمد .

و من هنا تبدأ الحملة الأولى المزدوجة ضد أنصاره بالإقليم المذكور .ونجد أن المواجهة بين السيد محمد والإنجليز منذ 1901 الى 1920 م اتخذت طابع الحملات العسكرية تخللتها معارك عديدة هامة لكلا الطرفين .

سنحاول عرض أهم المعارك التي أثرت أحداثها على الوضع السياسي بالصومال آنذاك .

أهم المعارك مابين (1901 – 1920 م):

1- معركة افيكيل (حوض الدم) وفرطدن ماي 1901 م : أخذ الكولونيل(سواين) في إعداد قواته بتجنيد الأهالي في كل من بربرة وبلهار وزيلع واستقدم عدد من الضباط البريطانيين ، ومجهزة بأحدث الأسلحة (البنادق – المدافع المختلفة الأحجام والأنواع)، فاقترح (سواين) التحرك إلى برعو، وكان السيد اضطر إلى التحرك على إقليم الدولباهنتا نتيجة لضغط الأحباش (31) .

بدأ تحرك القوات البريطانية إلى برعوا في 5 أفريل 1901م ، وعقب وصولها فاجئت معسكر السيد محمد في ياهيل شرق بوهودلي، إلا أن الحملة تأجلت لوقت قصير بسبب الجفاف الذي عرفته المنطقة في تلك الأشهر، إلى أن سقط المطر بالقدر الكافي في منتصف ماي 1901م .

عسكر الجيش الانجليزي في منطقة (افيكيل) في انتظار وصول الجيش الحبشي، والتزموا الصمت داخل حصونهم المكونة من الأسلاك الشائكة ونصبت عيها المدافع، التي هي جزء من خطتهم والهدف من ذلك هو

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ترك قوات السيد إفراغ ما لديها من رصاص البنادق ثم الإجهاز عليهم لكن ما يجب الإشارة إليه أن السيد وقواته (الدراويش) كانوا يفضلون القتال بالسلاح الأبيض للحفاظ على الذخيرة من جهة وإظهارا لشجاعتهم وتعطشهم للاستشهاد من جهة أخرى [32].

فظلت قوات السيد تحاصر الموقع ليوم كامل، إلى أن حدثت المواجهة المباشرة في آخـــر اليـــوم و أسفرت عن قتل حوالي 70 من قوات الدراويش بالإضافة إلى 20 عشرين جريح، ومثلهم من قوات الانجليز حوالي 70 قتيلا وثمانية جرحى بتاريخ : 25 صفر1319م/03 جوان1901م [33]، و لم يمر سوى شهر من خسارة قوات الانجليز بقيادة كولونيل (سواين) حتى جاءت المعركة الثانية للسيد محمد مع الانجليز في 26 ماي 1901م بمنطقة تسمى (فرطدن) .

2 -معركة (فرطدن) 26 ماي 1901م :

بعد انتظار سواين الرد من حكومته بالعودة بقي يتابع جنود (الدراويش) من قوات السيد محمد التي زحفت إلى منطقة النفوذ الايطالي قبل عودتها من جديد إلى المحمية البريطانية في منطقة (بري تيبل Beretable)، حيث نجح السيد في جمع أتباعه هناك ، فقرر (سواين) ملاحقته بالرغم أمر حكومته بإنهاء العمليات [34]، إلا أنه استقر في (كور جيراد) قرب معسكر السيد محمد في قريته (فرطدن)، فقرر مواجهته بعدما أصبح على بعد ثلاثة أميال.

علم السيد محمد وجنوده بالحملة التي أعدها سواين و قرر ملاحقته، فأرسل السيد جنوده لاستكشاف مواقعه ، لكنه خدع بسبب تغير سواين لطريقه واستقراره في كور جيراد، التي اختارها بعدما قام جنوده باعتقال امرأتين صوماليتين فقتل إحداهما وأقرت الأخرى بمعسكر جيش السيد محمد ليهاجمه في غفلة منه، إلا أن احد رعاة الإبل التابعين للسيد ويسمى بـــ(حسن بن كيوب) رأى جيش سواين قادم فأسرع إلى مركز الدراويش وراء إحدى الجبال، واحتدم القتال بينهما في 26 ماي 1901م ،إلى إن حاصر فرقة من الدراويش فيلق من قوات الانجليزي قيادة كل من (بينون Beynon) و(ديكنسون) وقتل العديد من القوات البريطانية، نظرا لتحصن قوات السيد بالتلال هناك، مما اضطر القائد سواين إلى الانسحاب والتحصن بزريبته في (كود جيراد) و لم يجد سوى إحراق قرية السيد التي كانت خالية انتقاما منه .

نتـــائجها :

- قتل52 من القوات الانجليز منهم (كابتن مدرك) وجرح 30 منهم الملازم (ديكنسون) [35].
- جمع جنود السيد 62 بندقية كغنيمة من الانجليز .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- خسارة قوات السيد محمد حوالي 100 شهيد ، وعدد من الجرحى وبعض الخيل .

3 – معركة (بيرطق) شمال غالكعيو 19 أكتوبر 1902م : (بيرطق أو "بيرطكا : معناها " الانبطاح" ، أطلقت هذه التسمية على الجيش البريطاني ،لأنه كان يطلق النار وهو في وضعية الانبطاح [36].

عمل السيد محمد بعد الحملة الأولى وانتهاء معاركها إلى الراحة، والاستعداد للمواجهة الاحتلال لمعرفته به من عزم على محاولات النيل منه، وخاصة الانجليز، لذا فقد عمد إلى زيادة عدد الجنود (ألف رجل) ، وزيادة تسليحهم حتى وصل إلى ألـــف رجل زيـــادة على جيشـــه من القبائل الموالية له بالإضافة إلى ضغطه المستمر على القبائل للانجليز حول (بوعر)، مما اضطر القنصل العام بالنيابة Coreaux، لإخطار حكومته بالوضع السائد في المحمية البريطانية ، و تزايد نشاط السيد محمد وأتباعه بها. أدى هذا بالحكومـــة البريطانية إلى دعمه بالجنـــود والســـلاح، و تعزيزه بفرقة المشاة من عدن وضباط بريطانيين بالإضافة إلى توزيع السلاح على القبائل الموالية للانجليز وزيادة الجنود الصوماليين، نظرا لزيادة جيش السيد محمد من حيث العدّة والعدد ، وهذا نتيجة لدور الجواسيس الذين استعان بهم الانجليز، وتعاونهم مع الحبشيين وقوات السلطان موسى علي سلطان (أوبيا).

حاول القائد الانجليزي (سواين) السيطرة على مصادر المياه إثر خروجه لمواجهة السيد وقواته من أجل منعهم من المياه في 16-11-1902م ، ولكن السيد محمد سبقه مع جنوده لملاقاته في منطقة (نجال) ، والتقى الجيشان في مكان يسمى (سلح ايركو) من ارض (هود) ، حيث كانت من أندر المعارك بالنسبة للسيد محمد وجيشه، نظرا للانتصار الكبير له نتيجة بسالة وصمود أتباعه فيها بالرغم مما خسره من جنود حوالي(430 شهيد و200 جريح) إلا أن النصر كان حليفه .

نتائجها : غنم السيد محمد من هذه المعركة ما يلي[37] :

- 990 بندقية رصاص و400 بعير محملة بالرصاص ، 2 من المدافع الكبيرة ، و1 رشاشة كبيرة .

بالإضافة إلى قتل 1000 من الانجليز عدا الجرحى ، وهروب (سواين) وبعض من جيشه إلى (بوهودل) ثم إلى (برع) وتم عزله من القيادة وتسلمها بعده القائد (مانج).

4 – معركة دارتوله (28 أفريل 1903م) :

مع بداية أفريل 1903م بدأت الأحداث تتوالى وتتزامن ، فقد اصطدم (كولونيل بلانكت) مع قوات السيد محمد ب(جمبورو)، ووقع الاشتباك غير المتوقع وانهزم فيها جيش(بلانكت) الأمر الذي جعل (مانج) يسرع لإرجاع طابور (كوب) هذا الأخير عند عودته عن طريق(دانوب)اصطدم كذلك بقوات السيد محمد ،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ووقعت موقعة (دارتوله) وكانت شديدة على الطرفين انسحبت على إثرها قوات السيد محمد إلى الغابات، ووصل طابور(كوب) إلى (جالادي) منهكا.

كان السيد محمد وجزء هام من قواته في هذا الوقت انسحبت إلى (دراتولة) ، لذا قرر قائد القوات الراكبة الخروج من دانوب إلى (دراتولة) في 22 أفريل 1903م ، وهناك دار قتال شديد كان لصالح قوات السيد محمد ، بسبب تحصن أتباعه بالغابات الكثيفة والحشائش الطويلة مكنتهم من ضرب القوات البريطانية عن قرب ، ودامت سبع ساعات سميت الموقعة أيضا باسم "عفاروين" ، انظر : [38] .

نتائج المعركة :

- مقتل ضابطان و13 جنديا بريطانيا وجرح 25 جنديا .

- أما خسائر قوات السيد محمد فكانت أكثر من 100 قتيل وعشرات الجرحى .

انسحاب القوات البريطانية من (دراتولة)إلى (بوهودلي) في 24 افريل 1903م . أمام تعاظم قوته، غيّرت الحكومة البريطانية القيادة بالمحمية بتعيين الميجور (جنرال تشارلز ايجرتون Major Général Sirc .C Egetron.) الذي وصل (بربرة) في 04 يوليو1903م كما قررت الحكومة البريطانية زيادة القوات في الصومال ، فأرسلت ثلاثمائة (300) من المشاة البريطانيين و ثلاثمائة (300) من المشاة الهنود من عدن ، و ستمائة (600) من المشاة الراكبين جزء منهم بريطانيون وكتيبة هندية من الهند [39].

قسم (ايجرتون) قوات الميدان إلى لواءين ، أسندت قيادة اللّواء الأول إلى (مانج) وقيادة اللّواء الثاني إلى الميجور فاسكن (Fasken) [40] .

في هذا الوقت كانت الأنباء تصل البريطانيين حول وجود قوات السيد محمد بمنطقة (وادي نوجال) ، ويقوم بتنظيم قواته، وإمدادها بالأسلحة والذخائر، هذه الأخيرة كان مصدرها الموانئ الشمالية الصغيرة بمنطقة الصومال الايطالي، فوضع الجنرال (ايجرتون) خطتان لهذه لحملة :

الأولى: مهاجمة قوات السيد محمد بمنطقته (وادي نوجال) وكانت تتطلب مساعدة من جانب الايطاليين ومن الإثيوبيين، والخطة الثانية : هي طرد السيد محمد وأتباعه خارج حدود المحمية البريطانية دون الحاجة إلى مساعدة الايطاليين ولا الإثيوبيين[41].

حاول الجنرال الاستعانة ببعض السلاطين لتقديم الدعم لقواته مثل: سلطان "الميجرتين الجنوب" علي يوسف وعثمان محمود سلطان"الميجرتين الجزء الشمالي " ، فساعدت بريطانيا الأول بأسلحة لتثبيت سيطرته على "أوبيا" واحتلال جالكعيو، أما عثمان فقد طلب منه منع السيد محمد من دخول المحمية الايطالية، ولقيت

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بريطانيا استجابة من السلطان علي يوسف، بينما السلطان عثمان محمود فلم ينفّذ التّعليمات و لم ينع دخول قوات السيد محمد منطقته، وبالتالي صعب عليهم عملية حصاره [42].

كما استعانت بريطانيا في هذه الحملة بالأحباش حيث أمدتهم بجميع المساعدات لتنفيذ المطلوب منهم، إلا أن تحرك الأحباش تميز بالبطء، إذ بدأت حملتهم مع بداية "ديسمبر1903م" و لم يصلوا "واردير" إلا في منتصف "جانفي1904م"، بل تراجعوا إلى "جيرلوجوبي" ثم إلى "فافان Fafan" ومنها عادوا إلى "هرر" .[43]

لقد بدأ التحرك يوم 11 نوفمبر، حيث صدرت تعليمات إلى "ماننج" للسير واحتلال "جالادي" وإقامة مركز محصن بها، وكان له ذلك في 15 نوفمبر ثم عاد إلى "بوهودلي" في 24 نوفمبر .

أما اللّواء الثاني فتمركز في "عيل داب" و "واد اماجو"، ومع أوائل "ديسمبر1903م"، وصلت معلومات حول تواجد قوات السيد محمد بمنطقة "جدبالة" [44]، فأسرع الجنرال "ايجرتون" أوائل يناير 1904م بإصدار أوامره لوحداته بالاستعداد للمعركة [45]، وكانت سرية الاستطلاع بقيادة "كنا– kanna" قد قدرت قوة السيد محمد بـــ:" 1500 مشاة، و200 من الفرسان" أغلبهم مسلح بالبنادق ويحتلون خطا من الأشجار، فقام (كنا) بتوزيع قواته اتجاه مقدمة قوات السيد محمد وجناحيها واصطدم الجانبان، ودام القتال ثلاث ساعات، انسحب على إثره "كنا" إلى "بادواين" بعد وصول المدد إلى قوات السيد محمد .

لقد كان لوجود قوات السيد محمد "بجدبالة" ووجود كذلك أتباعه بمنطقة النوجال الجنوبي سببا لسحب حامية "جالادي" بأمر من "ايجرتون" كي يجمع القوات في "عيل داب" وذلك لمهاجمة السيد محمد في "جدبالة"، وتشكل"عيل داب" القاعدة المتقدمة للنوجال و وادماجو بـــ"بوهودلي" وتحركت القوات من "جالادي" في 10 جانفي 1904م[46].

بدأت المعركة وتميزت باعتماد البريطانيين على مدفعية الجبال التي أثّرت كثيرا على قوات السيد محمد بالرغم من الشجاعة التي أبداها كل من الفرسان والمشاة ، كما ساعد وجود الأشجار قوات السيد محمد في مواصلة المواجهة ، وأخذوا بضرب مختلف جهات الجيش البريطاني ، إلا أنهم لم يستطيعوا مواجهة النيران الكثيفة المنطلقة من البنادق ومدافع "المكسيم" ، وبالتالي لم تسمح لهم الفرصة في إعادة تهيئة صفوفهم ، واستمرت المعركة "24 ساعة" وانهزمت فيها قوات السيد محمد.

نتائج المعركة :

يصعب تقدير المعارك إلا في القليل منها ، خاصة إذا كانت التقديرات مصدرها الدولة المستعمرة ، فتقديرات هذه الحملة الأخيرة حسب المصادر البريطانية[47] هي:

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- ستمائة وثمانية وستين (668) شهيد في المعركة الأخيرة ، وما يقارب العدد نفسه أثناء المطاردة.

أما الجانب البريطاني فقد قدر العدد بسبعة وعشرين(27) قتيلا من بينهم ثلاثة ضباط ، وسبعة وثلاثين(37) جريحا بينهم تسعة (9)ضباط [48].

- الاستلاء على الجزء الأكبر من ماشية السيد محمد وتفرق أتباعه .

- عدم التّمكن من أسر السيد محمد ، بعد انسحابه اتجـــاه جهة مجهولـــة لم يتعرف عليهـــا الانجليز، وهذا راجع إلى خطط السيد محمد التي يعتمد فيها على السرية التّامة من جهة ، وعدم اتخاذ مركز ثابت أو حصن أو عاصمة له من جهة أخرى ، بل كان مركزه العسكري متحرك عبر مختلف المناطق ويتغير من حين لآخر، منذ بدء المعارك الأولى، ويعرف مركزه باسم الحارن The Harun (الحارن The Harun : هو مركز القيادة ، والموقع المركزي لقوات السيد محمد والقرية هي المعسكر القبلي، حسب القرى التي تنقل عبرها [49] .

فكّر الجنرال (ايجرتون)[50] في ملاحقة السيد محمد حيث اعتقد أنه اتجه نحو منطقة (الهود الشمالي) ، وكلّف الكولونيل (كنا kanna) لتحديد مكان حارن السيد محمد، لكنه فشل في ذلك واضطر للعودة في (02 ماي 1904م) ، و بها تنتهي الحملة الرابعة دون أن يحقق الانجليز هدفهم الأساس ، وهو القبض على السيد محمد وإنهاء حركته .

بعد الحملة الرابعة تم تعليق العمليات الحربية، وتوزيع القوات المحاربة، وعودة الإدارة المدنية إلى المحمية البريطانية، وهذا لتغيير إستراتيجية الحرب والمواجهة إلى السلم والمهادنة .

- معاهدة " إليج " 1904م[51] :

تم تبادل رسائل عديدة بين ممثل الحكومة الايطالية باريتريا والسيد محمد، حثّ فيها الممثل للسيد محمد بقبول عقد سلام وفق شروط معينة الأتي ذكرها ، وهذا حرصا على مصالح إيطاليا في المحمية وتقوية احتلالها[52]، وقد تعمد السيد محمد التأخير في الرد وذلك من أجل ضمان مكاسب تخدم شعبه ، وبالتالي كانت هناك أحداث ومناوشات عسكرية تحدث من حين لآخر وخاصة مع القبائل الموالية للاستعمار البريطاني مثل: قبيلة الاسحاق وقبائل المجيرتين وغيرهما، ورغم ذلك فقد تزايد عدد أنصاره وأضاف غنائم حربية لجيشه، إلى أن جاء رده برسائل موجهة إلى ممثل الحكومة الايطالية في شكل احتجاج وفي وقت نفسه قبول الصلح بشروط [53].

- كلف القائد (بستالوتزا– Pestalozza) ، ممثل الحكومة الايطالية "بإليج" لتنظيم لقاء مع السيد محمد ونجح في ذلك (منتصف أكتوبر 1904م) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وتمّ الاتفاق على إقامة سلام بالشروط الآتية:

- إقامة محددة للدراويش في المنطقة الايطالية مابين(رأس جاباد) و(رأس جاراد)، بموافقة سلطاني (أوبيا) و(المجرتين) السلطانان هما : يوسف علي (أوبيا) ، وعثمان محمود (المجرتين) [54]. إقامة حكومة خاصة بقبائله، مع تحميله مسؤولية أمن كل الطرق .

- حريـــة العقيدة .

- حرية ممارسة التجارة في المناطق التي يديرها السيد محمد، تستثنى منها تجارة الأسلحة والرقيق .

- حق الحكومة الايطالية في تعيين ممثلا لها في أراضي السيد محمد، ووضع بعض الجنود، مع إنشاء نقطة جمارك.

ونتيجة لهذه الاتفاقية ، أرسل السيد محمد وفدا إلى بربرة أين تمّ توقيع معاهدة مؤقتة للسلام في 24 مارس 1905م مع المندوب البريطاني .

- ثم وقعت الحكومة البريطانية على اتفاقية الالتزام بشروط معاهدة (بستالوتزا) في 26 ماي 1905م [55] مع الحكومة الايطالية .

تجدد مقاومة الدراويش:

5 – معركة تل مادوبا Dul Madoba (19 أوت 1913م)[56] :

رغم أن علاقة الدراويش بالانجليز في الفترة الممتدة من معاهدة (إليج 1905م) إلى 1912م، تميزت بالتزام السلم بينهما، لكن من جانب أخر يظهر جليا التّوتر الذي كان يشتدّ حينا ويخفّ حينا أخر، بسبب الغارات بين القبائل الموالية للسيد محمد أو القبائل الموالية للانجليز، وكذلك بسبب أخر وهو تزايد أنصار السيد من قبائل أخرى وحتى من الموالية للانجليز إلى جانب توسع حدود إقليم دولة الدراويش حتى أصبحت تحاذي الساحل وخاصة (بربرة)، وازدياد قوة الدراويش من ناحية العدّة والذخيرة، الذي ساهم في تحقيق انتصارات عديدة ضد القبائل الموالية .

في الوقت الذي أثار مخاوف الحكومة البريطانية ، وسارعت إلى تكوين فيلق (هجانة) في 11يوليو 1912م، في المناطق القريبة من الساحل للمحافظة على الأمن عبر الطرق، وكإجراء احترازي لصدّ هجمات الدراويش سواء ضد القبائل الموالية لهم أو حتى ضدهم .

مع مطلع عام 1913م تجدّد نشاط الدراويش في المحمية البريطانية، وأصبح الموقف السياسي بالإقليم مقلقا باستمرار، بسبب وجود جماعات مغيرة من الدراويش ، الأمر الذي جعل الانجليز لا يمكنهم التنبؤ لما سيحدث ، ومع منتصف هذا العام 1913م ظهر توتر في العلاقات بين السيد محمد والانجليز ، بسبب انتشار إشاعات

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فحواها أن السيد محمد عازم على إرسال قوة إلى المراكز الأمامية في الغرب لاحتلال(اداد- عيل داب- بوهودلي)، فسارعت سلطات المحمية إلى اتخاذ خطوات لتوفير مقاومة لصد أي هجوم محتمل، من اجل الحفاظ على هيبة المناطق الداخلية.

تسلّم (كورفيلد) تقريرا في (برعو) في اليوم السابق للمعركة مفاده أن الدراويش يقومون بغارات شديدة على القبائل الموالية في الإقليم مابين (ايدوينا وبرعو)، وامتدت عملياتهم إلى ميلين أو ثلاثة من(بير) ، فقام (فيلق الهجانة) بعملية استطلاع باتجاه (بير) ، وأثناء الطريق علم (كورفيلد) ، أن هناك جماعة كبيرة قد وصلت (ايدوينا) على بعد (30 ميلا) جنوب شرق (برعو)، فقرر التقدم بهذا الاتجاه ووصل على بعد أربعة أميال من(ايدوينا)، دون استشارة السلطات التي كانت أمرته بعدم الدخول في معركة مع الدراويش ، لكن هناك حدثت المعركة واصطدم الجانبان [57].

قام الدراويش بمهاجمة طاقم مدفع (المكسيم) بنيران بنادقهم وتمكنوا من قتل واحد (1) وجرح ثلاثة (03) من أفراد الطاقم الخمسة وبتوقف المدافـــع عن العمل سبّب خسائر في صفوف البريطانيين، كما هاجموا موقع (كورفيلد) ثلاث مرات، واستمر القتال من الصباح إلى فترة الظهر لمدة (5 ساعات) من يوم 9 أوت 1913م، لكن بعد الظهر وعند نفاذ الذخيرة لدى الدراويش، توقفت المعركة واضطروا إلى الانسحاب التدريجي، بعدما تركوا قوات الفيلق منهكة ومتصدعة نتيجة لخسارتهم أولا لطاقم المدفع ، وثانيا لمقتل قائدهم (كورفيلد) رميا بالرصاص و ثالثا شدة قتال الدراويش والروح المعنوية العالية لديهم بالإضافة إلى عددهم الكبير حوالي (2250 رجلا) أغلبهم مسلح بالبنادق[58].

نتائج المعركة :

- مقتل قائد الفيلق(كورفيلد) وحوالي (60 رجلا) من قواته .

- استيلاء الدرويش على وسائل النقل للفيلق .

- اختفاء أفراد الفيلق من القبائل الصومالية الموالية للانجليز منذ بدء المعركة وانهماكهم في محاولة استرجاع ماشيتهم

- تيقن الانجليز باعتبار قوة السيد محمد حركة ثورية لم تمت روحهم الحربية منذ بدء الحملات ضدها سنة 1900م، وبالتالي يجب التفكير بجدية لهذا الوضع لتفادي الخطر .

- انتشار الرعب والخوف لدى الصوماليين أعوان الانجليز .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- هجرة الكثير من القبائل الصومالية من شرق المحمية إلى غربها ، الأمر الذي شكل عبئا إضافيا لدى السلطات البريطانية في مقاومة حركة الجهاد .

- سببت المعركة في صدمة لدى الانجليز ، فسارعوا إلى إجراء عمليات الانسحاب خوفا من عودة الدراويش إليهم ولسرعة انسحابهم لم يتمكنوا من نقل جثمان(كورفيلد) ودفن بالموقع .

أصبح الدراويش في موقف يستطيعون به مهاجمة كل الإقليم ماعدا الساحل، خاصة عندما أصبح الطريق مفتوحا أمامهم إلى (برعو) [59].

أخذ السيد محمد يقوّي المكاسب التي حققها في معركة (تل مادوبا) بإنشاء مركز(شمبر بريس) حوالي (28ميلا) جنوب شرق (بير) على رأس وادي عين ، وهذه القلعة أصبحت مصدر متاعب لدى الكثير من القبائل الموالية للانجليز ولبربرة، إلا أنه تم نسف القلعة بقذائف المدافع المستوردة من الهند و عدن في 13-02-1915م [60] وهنا تدخل مرحلة جديدة من الكفاح حيث اقتصر في الفترة الممتدة من (1914م-1918م)، إلى حدوث بعض الاشتباكات القليلة مع الانجليز، دون تأثير واضح وهذا يرجع لعوامل عدة :

- انشغال بريطانيا بالحرب العالمية الأولى .

- عدم استغلال السيد محمد وأتباعه الفرصة السانحة للحرب العالمية الأولى ، لتوجيه ضربة قوية ضد الانجليز نظرا لتوجيه ضرباته ضد القبائل الصومالية الموالية، والتركيز على بناء الحصون والقلاع لتغيير إستراتيجيته في الحرب من طريقة الكر والفر التي كان يعتمد عليها في الحملات الأولى إلى طريقة استخدام الحصون الثابتة [61].

حدوث الجفاف عام 1915م ، فتردى إنتاج المحاصيل ونقص الماء، الأمر الذي عانى منه الدراويش بسبب نقص المراعي ، وبالتالي ضعف خيله وإبله .

6 - الحملة الأخيرة (ميديشي) يناير 1920 م ووفاة السيد محمد :

كانت بريطانيا تعتمد على العالم الخارجي، وتريد أن تبقى مستعمراتها تحت سيطرتها، وزادت رغبتها في ذلك بعد خروجها من الحرب العالمية الأولى منتصرة [62]، ويرجع ذلك إلى عامل أساسي وهو ارتباط اقتصادها بمستعمراتها، خاصة من ناحية المواد الخام والمال، ولهذا نجد أنها بدأت تفكر منذ عام 1918م للقيام بحملة قوية وواسعة للقضاء على ثورة السيد محمد [63].

رأى الانجليز أن أهم ما يساعدهم في الحملة، هو استخدام المعدات الحربية الجديدة والحديثة خاصة سلاح الطيران، وكان صاحب هذا الاقتراح هو قائد القوات البريطانية في المحمية الجنرال (هوسكنز Hoskins)،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وطلب أيضا تغطية إنحاء الصومال بشبكة من اللاّسلكي، بالإضافة إلى العربات المصفحة والمدافع الرشاشة هذا من ناحية العتاد، ومن ناحية أخرى نجد أن الانجليز رأوا أن لا يشركوا الحبشة في هذه الحملة تفاديا لأي مفاجئة، وكذلك الاستغناء على المساعدة الايطالية حيث وجدوا أنها لم تفدهم كثيرا في الحملات السابقة [64].

أما الاعتماد على القبائل الموالية وخلق النزاع بينها وبين أتباع السيد محمد وبثّ جواسيسهم في كل المناطق المسيطر عليها من طرف الدراويش فقد كان عاملا مساعدا للإعداد الحملة [65] .

- كذلك محاصرة جميع الموانئ، وذلك بالقيام بدوريات بحرية على الساحل الصومالي، هدفها أنه في حالة نجاح الحملة، تسهل عملية القبض عليه أو القتل داخل الصومال .

- بينما نجد أن قوات السيد محمد لا تملك سوى السلاح القديم خاصة(البنادق)، وتوفر الحصون والقلاع التي تمكن من تشييدها خلال فترة الحرب العالمية الأولى ،هنا يظهر عدم التوازن بين الفريقين .

أحداث الحملة الأخيرة :

في واحد وعشرين 21 يناير1920م، بدأت ستّ طائرات حربية في قصف مراكز السيد محمد في" ميديشي"[66] وكان قصفا عنيفا ومتسارعا أحدث ارتباكا لدى السيد محمد وأتباعه وكانت أحد القنابل وقعت على خيمته استشهد على إثرها عمّه (عامر) والعديد من أتباعه [67].

- أسرع السيد محمد إلى ترك (ميديشي)، ولجأ إلى خندق على بعد حوالي (20كلم) شمال غرب (ميديشي)، أين اجتمع مع مستشاريه لتفكير في التعامل مع تدخل سلاح الطيران البريطاني وبقي هناك لمدة أسبوع ، ثم قرر الاتجاه جنوبا، بعد وصول أخبار وقوع (باران) في أيدي البريطانيين ومحاصرة فيلق (الهجانة) لمنطقة (جيد علي)، وكان ذلك في 28 يناير 1920م .

- عمد الانجليز إلى مطاردة الدراويش في 30 يناير 1920م بواسطة فيلق (الهجانة)، الذي فشل في إلحاق بهم نتيجة أن انسحابهم كان على شكل جماعات صغيرة متفرقة رفقة ماشيتهم، إلا أن الطائرات لم تتركهم من الجوّ التي أخذت تقصفهم بالقنابل فزادت من ارتباكهم أثناء الانسحاب وتفرقوا [68].

- بعد تمكن الانجليز من دفع السيد محمد وقواته إلى الانسحاب جنوبا نحو قلاعه في (تالح) جهزوا بتاريخ 04 فيفري 1920م قوات لضرب القلعة ، خاصة من الجوّ، الأمر الذي جعل قوات السيد محمد تفرّ عبر الإقليم المفتوح وبأمر من السيد محمد انتشرت عبر أنحاء الصومال لمنع وقوع خسائر كبيرة .

خرج السيد محمد على رأس حوالي (60 فارسا) متجها إلى الاوجادين عبر الهود ليصل إلى منطقة (هجري) الممتدة من وال وال إلى جنوبي نهر (شبيللي) ، فبعثت السلطات البريطانية مجموعة من الرجال لتعقبه

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وإحضاره حيّا أو ميتا، لكنهم فشلوا وهاجموا قلعة (جالباري بر- Galbari Bur) آخر قلعة لدراويش في شمال المحمية، وسقوط هذه القلعة اعتبرت نهاية الحملة الأخيرة .

كانت نتيجة هذه الحملة لصالح قوات البريطانيين وهزيمة لدراويش حيث سجّل :

- مقتل حوالي 60 من أتباع السيد محمد المنسحبين معه أثناء المطاردة وهم من المقربين إليه [69].

- الاستيلاء على العديد من ممتلكاته الشخصية ورسائله بالإضافة إلى :

- 1400 جمل- 450 بقرة - 50حصانا - 51 بندقية - 2000 طلقة ذخيرة - وعدد كبير من الماشية [70].

- تمكن السيد محمد رفقة ابنه الأكبر (مهدي) وقليل من قواته النجاة من المعركة، وبالتالي لم تتمكن السلطات البريطانية من تحقيق هدفها إلا وهو القبض عليه [71] .

ظل مكان تواجد السيد محمد مجهولا لدى السلطات، إلى أن ظهر بمنطقة البهجري في(الاوجادين) بالمكان المسمى(شينيليه Shinilih) على بعد(40 ميلا/ 64 كلم) غرب جوراهايorrahie ، وعلى بعد 300 ميل/ 482 كلم جنوب غرب بربرة، وفي أوائل ماي 1920م ، أقام معسكره بالقرب من جوراهاي جانب نهر (فافان) [72] في هذا الوقت كانت بريطانيا تعتقد أن فكرة حركته الهادفة إلى طرد الاستعمار وتحرير الصومال قد ماتت جراء الهزيمة الأخيرة .

لكن السيد محمد، وبالرغم من الظروف الصعبة التي مر بها، إلا أنه كان متفائلا وعازما في نصر الله له، فاستطاع جمع الأنصار حوله من الصوماليين الذين خرجوا على فرقة حملة البنادق الإفريقية، ومعهم بنادقهم، إلا أن هاجس نقص السلاح كان يؤرقه، نظرا للحصار المضروب حوله في البحر، فحاول الحصول عليه بطريقة أو بأخرى من جيبوتي (الصومال الفرنسي) .

وكان انتقال السيد محمد إلى (الاوجادين) قد سبب انزعاج لدى البريطانيين ويرجع ذلك إلى :

- بغض قبائل الاوجادين للاستعمار، وبالتالي فهو ملجأ للساخطين عليه .

- النفوذ القوي للدراويش بالإقليم والذي كان تحت سيطرة شقيق السيد محمد (خليفة) .

- إمكانية تمرير السلاح عبر هذا الإقليم .

وبالتالي خشيت السلطات البريطانية من أن يكوّن جيشا جديدا ضدّهم[73] ومنذ الهزيمة التي تلقاها الدراويش وتمكن السيد محمد من النجاة واستقراره بإقليم الاوجادين.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فكّرت السلطات البريطانية في أسلوب المهادنة ، فأرسل الحاكم البريطاني من (تالح) خطابا إلى السيد محتواه منحه الأمان والعفو، ومنحه منطقة يعيش فيها كشيخ للطريقة الصالحية دون التدخل في الجانب السياسي مقابل سلامته [74] ، وتكـــرر خطاب السلطات البريطانيـــة الموجه للسيد محمد في 7 افريل 1920م عن طريق وفد مكون من كبار أعيان القبائل الموالية للانجليز، بأمر من الحاكم البريطاني "ارثر" وتضمن الخطاب الشروط التالية [75] :

- تحديد مكان في الجانب الغربي من المحمية لرعي ماشيته، واستقراره بها ويؤسس لطريقته الصالحية مع إعادة أفراد أسرته .

- الماشية التي يحضرها السيد محمد هي ملك له، وان لم تكن كافية تعيد إليه بريطانيا عددا أخر يكفي متطلبات أتباعه .ولمحت من جانب أخر عدم اعتراضها على سفره إلى مكة إن أراد .

- تنظيم القبائل وحكمها يكون من اختصاص الحاكم البريطاني وليس من اختصاص السيد محمد.

- في حالة نشوب صراع بينه وبين القبائل، فإن الأمر يحال إلى الحكومة .

وفي نهاية الخطاب عرض عليه مهلة (40 يوما) للحضور في حالة القبول .

بعد مدة كان ردّ السيد محمد يتضمن القبول لكن عند تحقيق شروطه الآتية [76] :

- إعادة الماشية وفرسانه وأسلحته ومجوهراته والعملة الذهبية التي قدرها بـــ:

1. العملة الذهبية ⟵ 100 ألف جنيه إسترليني .
2. النقـــــــود ⟵ 300 ألف جنيه إسترليني .
3. الـــدولارات ⟵ 20 ألف دولار.

- عودة جميع الأسرى .

- عودة المباني والمشاءات الخاصة به .

عاد الوفد المرسل من طرف الحاكم (ارثر) بهذا الرد ، دون تحقيق الهدف المطلوب .

1 – 3 وفاة السيد محمد بن عبد الله حسن :

أمام هذا الموقف المقلق للسلطات البريطانية التي لم يهنأ لها بال ما دام السيد محمد حرّا، رغم الخسائر التي لحقت بقواته فقد رأت فيه رأس الكفاح الوطني، وبالتالي فهو مازال يشكل خطرا على الأقل في المستقبل، فراحت توأنب القبائل المعادية له الموجودة على الحدود مع قبائل (الاوجادين) ، وقد انصاع زعماء القبائل وشكلوا جيشا قبليا مكون من (3000رجل) من قبائل (حبر يونس وحبر تلجعله و الدولباهانتا) ، [77].

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وصل هذا الجيش إلى معسكر السيد محمد في (جوراهاي) نهاية يوليو 1920م ، وكان عدد الدراويش وبعض رجال من الاوجادين حوالي (800 رجل) مسلحين بالبنادق، واشتد القتال وقاوم معظم قواته إلى أخر لحظة وكانت نهاية المعركة مع مطلع الفجر، استولى على إثرها الجيش القبلي على : 60 ألف من الماشية و700 بندقية .

تمكن السيد محمد مع بعض خاصيته من الفرار إلى منطقة (ايمي Imi) جانب نهر شبيللي[78].

وعلى الرغم من الهزائم المتكررة وفقدانه لأنصاره وأولاده وأمواله، إلا أنه لم ييأس من مساندة الصوماليين لقضيته كونها تخص الوطن كله فلجأ إلى قبائل(العروسي الاروميةOroma Arussa) حيث وفرّت له الحماية، من أجل إعادة تنظيم المقاومة من جديد .

لكن المرض والمجاعة اللّذان أصابا معسكره أثّرا في عدم تمكنه من إحياء المقاومة وتكوين الأتباع من جديد .

و لم يسلم هو من المرض الذي أصيب به في ديسمبر1920م أي مرض (الأنفلونزا)، مما أضعف صحته إلى أن توفي في 21 ديسمبر1920م في سن السادس والخمسين (56 سنة)، وقد دفنه أتباعه في كوخ بمقبرة صغيرة في (إيـــمي)، لكن لما علم أتباعه أن الانجليز في صدد البحث عن جثته للتنكيل بها انتقاما لمقتل (كورفيلد) نقلوها إلى مكان مجهول إلى اليوم [79].

1 – 4 أسباب فشل الثورة :

رغم أن ثورة السيد محمد حققت الكثير من الانتصارات واستطاعت المحافظة على روحها الجهادية المعادية للاستعمار الأجنبي، وتمكنت من تهديد مواقع النفوذ الاستعماري في المنطقة وبروز السيد محمد كرمز لإرادة الإنسان الصومالي، الذي سعى إلى توحيد الصوماليين ضدّ الظلم ، إلا أنها لم تخلو من الصعوبات الكثيرة ، التي عرقلت مسيرة الثورة من حين لأخر وضيقت الخناق عليها وكانت سببا في فشلها، وهنا نذكر أراء بعض الكتاب والمؤرخين .

- يرى علي محمود علي معيوف في كتابه" تاريخ حركة الجهاد الإسلامي الصومالي ضدّ الاستعمار "، أن معظم مواطنيه لم يكونوا على مستوى الوعي لمواكبة حركته وتأصل عصبية القبلية بهم، فوجد منهم معارضة شديدة، و استغل الاستعمار هذه النقيصة لتوسيع هوة الخلاف فكان عليه أن يواجه أمرين:- تجهيز قوات لحركة الجهاد – مواجهة المخالفين .

- اتفاق كل من الانجليز والفرنسيين والايطاليين لضرب حركته ، رغم اختلافهم في تقسيم المستعمرات .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- اشتراك الانجليز في المؤامرة لخلع الملك الحبشي المسلم (ليج الياس)[80] ، هذا الأخير كان يمثل فرصة كبيرة أمام السيد محمد وهي انضمام الاثنين في مواجهة الاستعمار .

- استخدام الانجليز الأسلحة الحديثة بعد الحر ب العالمية الأولى وخاصة سلاح الطيران الذي ساهم في إبادة قوات السيد محمد بما فيهم المقربون ، وبالتالي لم يكن خليفة يخلفه بعد موته .

- عدم تمكن السيد محمد من جمع الصوماليين في صف واحد تحت قيادته بسبب أن أكثر المعادين له كان عداءهم من منطلق قبلي، وعليه لو اتبع أسلوب الإقناع والدعوة السلمية لما صعب الأمر عليه، لكن السيد محمد استعمل القسوة وأسلوب المواجهة والإغارة .

كما نجد تقارب في الأسباب التي ذكرها دكتور عبد الله عبد الرازق إبراهيم مع رؤية علي محمود علي معيوف، لكنه يذكر سببا أخر وهو أنّ صراع السيد محمد عبد الله حسن ضد قوى أوربية قوية جاء في فترة التّكالب على إفريقيا عامة والقرن الإفريقي خاصة .

يتفق محمد فريد السيد حجاج في كتابه صفحات من تاريخ الصومال مع الكاتبين السابقين إلا أنه يضيف سببا أخر وهو أن دعوة السيد محمد الشعب إلى الدين بواسطة الطريقة الصالحية كان خطأ ارتكبه فالأجدر منه أن يدعو الشعب الصومالي على أساس الدين الإسلامي البحت أو على أساس القومية الصومالية دون الطرق الصوفية ، بينما هو ركزّ على تعاليم طريقته الصالحية ومعروف عن الشعب الصومالي تمسكه بالطرق خاصة أكبر وأقدم طريقة (القادرية) التي يميل إليها جزء كبير من المجتمع .

و يرجع عبد الصبور مرزوق في كتابه " ثائر من الصومال " بالإضافة إلى الأسباب المتفق عليها من طرف الكتاب السابقين أسباب انهزام السيد محمد وفشل ثورته إلى السلاح المستخدم في أخر حملة .

عند فشل المؤامرات ضد السيد محمد وأتباعه لجأ البريطانيون إلى دسّ الأمراض الوبائية والسمّ أي الجراثيم في مياه الآبار بالأماكن التي كان يتواجد بها أتباع السيد محمد .

ففي منتصف شهر ماي من عام 1920م تلقى السيد محمد من المراكز في "هرشكح" أن أغلب الدراويش أصابتهم أمراض خطيرة متنوعة منها (الجدري) ، وفي شهر يوليو (جويلية) من العام نفسه تفشت الأمراض بشكل وبائي، فمات من جرائها الآلاف، وفقد الدراويش مجموعة من خيرتهم منهم القائد (خليف بن عبد الله حسن) شقيق السيد محمد والعلامة (الشيخ موسى بن عبد الله حسن) وغيرهما، و لم يسلم من المرض السيد محمد فكان السبب في وفاته .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كما يرجع الكاتب كذلك لسبب أخر أساس في فشل الثورة وهو استخدام سلاح الطيران لأول مرة في الصومال بشكل همجي وساهم بالتالي في هلاك الكثير من أتباع السيد محمد في ظرف وجيز، وهو العامل المهم الذي مكن البريطانيين من إخماد الثورة عددا وعدّة .

ومما سبق يمكن تحديد أسباب فشل الثورة في العوامل الرئيسية الآتية :

- تأصل التعصب القبلي والطرقي لدى الشعب الصومالي بحيث كان الولاء إلى القبيلة أو الطريقة أشد من الولاء لحركة ثورية أو فكرية أو حتى لنظام جديد ، الأمر الذي قسم المجتمع إلى موالي ومعادي للثورة ، وسهل للبريطانيين بالإيقاع بين أبناء الوطن الواحد .

- توحد القوى الأوربية (بريطانيا – ايطاليا – فرنسا) مع الأحباش ضد ثورة السيد محمد ، وذلك باستعمال كل الأساليب المتاحة أثناء الحرب أو السلم مثل الحصار الاقتصادي حين أبعد السيد محمد وأتباعه إلى مناطق الداخل الجرداء وقليلة الماء ، وكذلك الحصار العسكري وذلك بمنع وصول الأسلحة إليه، يضاف إلى ذلك تحريض القبائل المعادية ضدّه ، وتشويه سمعته الدينية حين اعتبروه مرة بالمارق ومرة أخرى بالمنحرف عن مبادئ شيخه محمد صالح ، وبلغ الوصف حتى بالجنون عندما سمّوه بالملا المجنون [81].

- انتصار الحلفاء على ألمانيا وتركيا في الحرب العالمية الأولى ، سمح لبريطانيا التفرغ التام للقضاء على الحركة بإعلان حملة ضخمة مستعملة أسلحة لم تستعمل من قبل .

- استعمال سلاح الطائرات القاذفة للقنابل لأول مرة في مواجهتها لقوات السيد محمد ، وهو السلاح الذي لم يجد السيد محمد حلا له رغم توفر الحصون والقلاع فأدى هذا إلى إبادة الكثير من أتباعه وتفرق الباقي .

- اتخاذ منطقة (نفال – نوجال) غير المحصنة طبيعيا كقاعدة له ، لم يكن لصالحه في حرب العصابات ، عكس منطقة (الاوجادين) الملائمة لذلك .

- تآمر القبائل الموالية للاستعمار ضده أثناء مرحلة الضعف الأخيرة ، وبدعم من البريطانيين جهزوا حملة شرسة وتمكنوا من إنهاء قواته ، وفراره هو والقليل معه إلى (ايمي) ، وقد فقد الكثير من خيرة رجاله ، وتزامن ذلك مع ظهور الأمراض والجفاف ، إلى أن توفي مريضا .

لقد خاض السيد محمد معاركه في ثلاث جبهات متباعدة مع ثلاث قوات مختلفة مع الانجليز في الشمال ومع الحبشة في الغرب وايطاليا في الجنوب ، واستطاع الصمود ضد الجبهات الثلاث طوال عقدين كاملين حقق فيها الكثير من الانتصارات في اغلب المواقع الحربية ، بفضل اعتماده للتنظيم المحكم و قوة رجاله ، لذا تأكد الانجليز أن الانتصار على الدراويش في حرب برية أمر محال فلجاؤا إلى استعمال سلاحهم الجوي الذي

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

دمر مراكز وحصون السيد محمد، وكان ذلك نهاية لثورة السيد محمد عبد الله الذي بقي أثره حيا في ضمير الصوماليين، ومن نتائج حركته نشوء حركة مطالبة بالاستقلال في عام 1943م [82] .

الخاتمـــة :

يمكن في الأخير أن نستنتج من ثورة السيد محمد عبد الله حسن النتائج التالية :

- هو أن نضاله ومقاومته اتخذا طابعين الأول ديني الذي يتمثل في نشر تعاليم مبادئ الطريقة الصالحية باعتباره أبرز خلفاء شيخ الطريقة الصالحية الشيخ محمد صالح .

- أما الطابع الثاني فهو الطابع العسكري والمتمثل في وقوفه ضد القوى الأوربية فخاض العديد من المعارك خاصة ضد بريطانيا وإثيوبيا، وظل يقود شعبه من نصر إلى نصر طيلة عشرين عاما إلى أن انتهى كفاحه بوفاته سنة 1920م .

– تزامن مقاومته مع جهاد زعماء الإفريقيين المسلمين في عدة بلدان من أرض القارة الإفريقية، لذلك نجد أنها تضاهي مثلا مقاومة الريف بالمغرب بقيادة محمد عبد الكريم الخطابي ومقاومة عمر المختار بليبيا، والثورة المهدية بالسودان بزعامة محمد أحمد المهدي، وتتشابه إلى حد كبير مع ثورة الأمير عبد القادر بالجزائر، في العديـــد من النواحي، مثل إعداد خطط المعارك، وجلب الأسلحة، وتأسيس دولة، باعتراف الاستعمار، وعقد الاتفاقيات مع أكبر الجنرالات، وكسب القبائل لصفه .

– تعتبر إحدى الثورات الكبرى التي هزت أركان الاستعمار البريطاني، وأثقلت كاهله سواء بشريا أو من حيث التكاليف المالية، وحتى هيبة الإمبراطورية البريطانية وحلفائها في ذروة التكالب الاستعماري على القارة الإفريقية، فهي إذا تمثل ضمير الإنسان الصومالي الذي يرفض حكم الأجنبي لبلاده بأي طريقة كانت .

– كما يمكن اعتبار أن جهاد السيد محمد بن عبد الله حسن لم يكن مجرد انتفاضة شعبية ضد الاحتلال بل كان مواجهة للشعوبية الأوربية الحديثة، لأنه لم يكن يواجه الانجليز فقط، إنما واجه ثلاث جهات صليبية ورابعة محلية الانجليز وايطاليا والحبشة، وبعض القبائل الصومالية المتعاونة مع المستعمر الايطالي في الشرق.

– رغم أن بريطانيا انتصرت ظاهريا عسكريا إلا أن السيد محمد وجيشه انتصروا فكريا وروحيا لأن الشعب الصومالي تنبّه إلى المخططات الاستعمارية التي تهدد مقوماته الدينية و وحدة أرضه لذا أقبل على تعليم أبنائه القرآن والعلوم الاسلامية والعربية لمواجهة هذا الغزو وإحياء مقوّمات الحضارة الاسلامية والعربية التي ضعف شأنها في فترة التكالب الأوربي على إفريقيا، وتهيئة الطريق لبروز قادة جدد للحركة الوطنية مستلهمين أفكارهم من ثورة السيد محمد وغيرها من الثورات، فاعتمدوا ممارسة النضال العسكري والسياسي حتى نيل الاستقلال.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هكذا عمل الصوماليون بعد الحرب العالمية الأولى على التمسك والحفاظ على هويتهم في مواجهة محاولات الطمس الممارسة من طرف المستعمرين ,وذلك بدعم التعليم الديني والعربي وتأسيس مدارس يديرها صوماليون.

كذلك كان لظهور بعض الأحزاب السياسية الدور الهام في محاولة توحيد أجزاء الصومال تحت لواء واحد لتحريره من الاستعمار ,مثل ما قام به (حزب شباب الصومال 1947 م) والذي كان سببا في بروز أحزاب سياسية أخرى (حزب الرابطة الوطنية الصومالية – الحزب الافريقي – الحزب العربي .....) وقد اهتمت بمشاكل الصومال والتي على رأسها الاستعمار ,ومارست النضال بالمفاوضات وغيرها للمطالبة بنيل الاستقلال الذي تحقق سنة 1960 م.

الهوامش:

(1) شوقي الجمل و عبد الله عبد الرازق إبراهيم ، سنة 2002م، تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، دار الزهراء للنشر والتوزيع ، الطبعة الثانية، ص314 . و محمد إبراهيم آمال، لبنان 1993م، الصراع الدولي حول البحر الأحمر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، مركز الدراسات والبحوث اليمني، الطبعة الأولى ، دار الفكر المعاصر بيروت، ص 147 .

(2) كانت فترة انعقاد المؤتمر من نوفمبر 1884م إلى 26 فيفري 1885م، وجل قراراته تصب لمصلحة الدول الامبريالية لتقسيم إفريقيا فيما بينها. انظر: أحمد إبراهيم دياب، الرياض 1401هـ- 1981م لمحات من التاريخ الإفريقي الحديث، دار المريخ، ص181 . و شوقي الجمل و عبد الله عبد الرازق إبراهيم، المرجع السابق، ص 147 ، 148.

(3) انظر الملحق رقم 01.

(4) في فبراير عام 1887م احتل "منيليك" ملك الحبشة مدينة هرر بجيش قوامه 30.000 جندي بعد قتال مرير مع أميرها عبد الله محمد، انظر: حجاج محمد فريد السيد. (1964). ثائر من الصومال الملا محمد بن عبد الله حسن. القاهرة ، ص 39 ، 40 و صوار أحمد. (1959). الصومال الكبير. القاهرة: الدار القومية للطباعة والنشر، ص 28.

(5) معيوف علي محمود علي، مارس 1992م ، تاريخ حركة الجهاد الإسلامي الصومالي ضد الاستعمار خلال الفترة بين عامي 1899م-1920م، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ص 19 .

(6) لم يستعن الانجليز بجميع العقلاء إنما تعاملوا مع القليل منهم ، وبالتالي أدى هذا إلى التفرقة بين الأهالي والقطيعة بين الذين يوالوهم وبين الذين يبغضونهم . انظر: معيوف علي محمود علي، المصدر السابق، ص 23 .

(7) يحي جلال ومحمد نصرمهنا، 1983م ، مشكلة القرن الإفريقي، القاهرة ، دارالمعارف. ، ص ص 333 - 336 . ومحمد حاج عمر ، 1993م " صفحات من جهاد الشعب الصومالي"، مجلة الدراسات التاريخية، العدد 7 ، الجزائر، ص 110.

(8) في 21 مارس 1897م وقعت في أديس أبابا اتفاقية بين الحبشة وفرنسا لرسم الحدود بين إقليم ساحل الصومال الفرنسي والإقليم الصومالي المحتل من الحبشة ، وفي 18 يوليو 1908م عقد "منيليك" مع ايطاليا معاهدة لتخطيط الحدود بين الإقليمين الصوماليين اللذين يحتلانهما. انظر : حجاج محمد فريد السيد ، المرجع السابق، ص 40 .

(9) قوب فردوت،كلمة صومالية معناها العربي (حوافر الخيل) لكثرة ما يوجد بها من الخيل والفرسان. انظر : عبد الصبور مرزوق، 1959م ، أضواء على الصومال، القاهرة ، مصر ، دار السعد ، ص 157 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

(10) تاريخ الميلاد غير مضبوط باليوم والشهر، رغم هذا نجد في بعض الكتب أنه ولد في 17 أبريل أو 7 أبريل، و حتى سنة ميلاده فهناك من يذكر سنة 1864م، انظر : مرزوق عبد الصبور، ثائر من الصومال الملا محمد بن عبد الله حسن, القاهرة 1964م ص 14 . إبراهيم عبد الله عبد الرازق، 1998م، المسلمون والاستعمار الأوربي لإفريقيا، الكويت ، المجلس الوطني للثقافة والفنون ، ص 179 . وانظر:

-Oliver Roland, And Anthony Atmore, African Since 1800, Fourth Edition, Cambridge University Press , P 175 .

(11) معيوف علي محمود علي، المصدر السابق، ص 46 . ومرزوق عبد الصبور، 1959م، أضواء على الصومال, ، دار السعد ، مصر، ص 157 .

(12) علي محمد أحمد شيخ، 16 أوت 2010م " القبائل الصومالية: الأصل، البناء، والوظيفة "، مجلة الراصد، الخرطوم ،السودان، ص 10 ، 11 .

(13) معيوف علي محمود علي، المصدر السابق، ص 47. و عبد الصبور مرزوق، أضواء على الصومال, المرجع السابق، ص 158.

(14) إبراهيم عبد الله عبد الرزاق، المسلمون والاستعمار الأوربي لإفريقيا، 1998م ،المرجع السابق، ص 179، 180 .

(15) كان الصومال في هذه الفترة يعيش الأيام الأخيرة من الحكم المصري في عهد الخديوي إسماعيل (1863م-1879م)، وصل بعده الاحتلال الانجليزي تدريجيا منذ سنة 1884م، انظر: جلال يحي ومحمد نصر مهنا، المرجع السابق، ص 266، 272،301 .

(16) معيوف علي محمود علي، المصدر نفسه، ص 47 . و احتل منيلك ملك الحبشة هرر سنة 1887م. انظر : جلال انظر يحي ومحمد نصر مهنا، المرجع نفسه، ص 370،371 . و قاسم جمال زكرياء، 1996م، الأصول التاريخية للعلاقات العربية الإفريقية، مصر، دار الفكر العربي ، ص 132 ، 133.

(17) معيوف علي محمود علي، المصدر نفسه، ص47. و مرزوق عبد الصبور، أضواء على الصومال ، المرجع نفسه ، ص 158 .

(18) مرزوق عبد الصبور، أضواء على الصومال، المرجع السابق، ص 158 . و إبراهيم عبد الله عبد الرزاق، المرجع السابق، ص180 .

(19) علي محمود علي معيوف، المصدر السابق، ص 49 . وانظر :

- Oliver Roland And Sanderson ,African History from 1870 to 1905 ,Vol 6 , The United Kingdom At The University Press , Cambridge , 2004 , P , 671 .
- Thomas Ofcansky, Somalia: Hassan, Muhammad Abdil And Resistance To colonial Conquest , Encyclopedia Of African History ,Vol 1 , P.1405 .

(20) تميز الصراع الصومالي الإثيوبي منذ القرن 16 بالصراع الديني بالدرجة الأولى ، وصراع سياسي توسعي بالدرجة الثانية فأخذ بذلك طابع الحروب الصليبية . انظر : عرب فقيه (شهاب الدين احمد بن عبد القادر بن سالم بن عثمان الجيزاني الشهير)، 1974م ، تحفة الزمان أو "فتوح الحبشة "، القاهرة ، ص 7 ، 8 . و غيث مهندس فتحي،2001 م، الإسلام والحبشة عبر التاريخ، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية ، ص 149 . و الفيتوري عطية مخزوم،1998م ، دراسات في تاريخ شرق إفريقيا وجنوب الصحراء (مرحلة انتشار الإسلام)، الطبعة الأولى, ، بنغازي، ليبيا ، منشورات جامعة قان يونس ، ص 195 ، 196 ، 197 .

(21) استولى (منيلك الثاني) على هرر في يناير 1887م ، وتوغل الأحباش عام 1889م إلى جنوب هرر ، وواصلوا شن غاراتهم من هرر على منطقة (أوجادين) ، ممارسين عمليات النهب والسلب والحرق وهدم القرى ...، انظر: غيث مهندس فتحي ، المرجع السابق ، ص 240 .

(22) معيوف علي محمود علي ، المصدر السابق ، ص 60 .

(23) Jardine Douglass, 1923, The Mad Mullah Of Somaliland, universal library , printed in england by wyman and sons ltd, London. P 45 .

وانظر : معيوف علي محمود علي ، المصدر السابق ، ص 65 ، 66 . و مرزوق عبد الصبور ، ثائر من الصومال ، المرجع السابق ص 43 ، 44 . و إبراهيم عبد الله عبد الرزاق ، المرجع السابق ، ص 183 ، 184 .

(24) جارازماتش بانتي: قائد حبشي قاد حملة ضد السيد محمد بأوامر من الملك منيليك ، لكن حملته باءت بالفشل قبل دخوله المعركة ، انظر : معيوف علي محمود ، المصدر نفسه ، ص 64 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

(25) معيوف علي محمود علي، المصدر السابق ، ص 65. و.Douglas Jardine , Op , cit , P, 45- . ويذكر مرزوق عبد الصبور : أن المعركة أسفرت عن مقتل 230 من الجيش الحبشي ، و170من القوات الصومالية ، رغم تضارب أرقام الخسائر ، إلا أن نتيجتها كانت مؤثرة جدا على الأحباش .انظر: مرزوق عبد الصبور ، ثائر من الصومال ، المرجع السابق ، ص 43 .

(26) Jardine Douglas, Op , cit , P, 45 .

(27) تبعد عن (دججبور) حوالي 30ميلا (48 كلم) غربا ، انظر : معيوف علي محمود علي ، المصدر السابق ، ص 64 . وجلال يحي ومحمد نصر مهنا ، المرجع السابق ، ص 446 . و

- Jardine Douglas, Ibid. P 45 .

(28) Jardine Douglas, Ibid. P47.

وانظر : جلال يحي و محمد نصر مهنا، المرجع نفسه ، ص 446 .

(29) إبراهيم عبد الله عبد الرزاق، المرجع السابق ، ص 184 .

(30) معيوف علي محمود علي، المصدر السابق ، ص 69 ، 70 . وانظر:

- John Slight , British And Somali ," Views Of Muhammad Abdullah Hassan's Jihad, 1899-1920 ", Bildhaan, An International Journal Of Somali Studies , Vol 10, Www.Cambridge.Academia .Edu , P P, 16 ,35 .

(31) جلال يحي و محمد نصر مهنا، المرجع السابق، ص 447 .

(32) مرزوق عبد الصبور، ثائر من الصومال، المرجع السابق، ص 45 . وانظر

-Olive , Roland And Sanderson , African History from 1870 to 1905 ,Vol 6 , Ob , cit , P 676 .

(33) نجد هناك إحصاء مبالغ من وجه نظر الانجليز في عدد ضحايا الهجوم ، حيث يذكر " جاردين " أن عدد القتلى من جانب الانجليز هو 10 و8 جرحى ، ويقدر عدد ضحايا الدراويش بـــ: 500 بين قتيل وجريح . انظر : مرزوق عبد الصبور، المرجع نفسه، ص 45 . و

- Jardine Douglas , Ob , Cit , P 64 .

(34) إبراهيم عبد الله عبد الرازق، المرجع السابق، ص 185 .

(35) مرزوق عبد الصبور، المرجع السابق، ص 46 .

(36) بيرطق أو "بيرطكا : معناها " الانبطاح" ، أطلقت هذه التسمية على الجيش البريطاني ،لأنه كان يطلق النار وهو في وضعية الانبطاح . انظر : حجاج محمد فريد السيد ، المرجع السابق ، ص 48 ، 49 .

(37) مرزوق عبد الصبور، المرجع السابق ، ص 48 .

(38) سميت الموقعة أيضا باسم "عفاروين"، انظر : جلال يحي و محمد نصر مهنا ، المرجع السابق ، ص 459 . وإبراهيم عبد الله عبد الرزاق، المرجع السابق ، ص 188.

(39) جلال يحي ومحمد نصر مهنا، المرجع السابق ، ص 460 .و مرزوق عبد الصبور، المرجع السابق ، ص 60 ، 62 .

(40) معيوف علي محمود علي، المصدر السابق، ص 161 .

(41) Olive , Roland And Sanderson,Vol 6 , Op , Cit , P 676 .

General Staff, War Office, 1907,Official History Of The Operation In Somaliland 1901-1904,vol 1, 2 , military books, printed for his majesty's

(42) stationery office, London,, P 229.

(43) General Staff , War Office, Op , Cit , P 231 .

(44) General Staff , Ibid , P 232 .

(45) جلال يحي و محمد نصر مهنا، المرجع السابق، ص 361 .

(46) General Staff , Op , cit , P 234 , 235 .

(47) Jardine Douglas , Op , cit , P 140 , 141 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

(48) نجد هناك إحصائيات أخرى حول عدد القتلى في صفوف قوات السيد محمد، حيث قدر بأربعمائة وستين(460) ومائتان وخمسة (205) من الجرحى، ومن الجانب البريطاني قدر العدد بتسعين (90) قتيلا. انظر : مرزوق عبد الصبور، ثائر من الصومال، المرجع السابق، ص 62 .

(49) الحارن The Harun : هو مركز القيادة، والموقع المركزي لقوات السيد محمد والقرية هي المعسكر القبلي، حسب القرى التي تنقل عبرها، انظر: معيوف علي محمود علي، المصدر السابق، ص 163 .

(50) فور انتهاء المعركة كتب الجنرال(ايجرتون) إلى السيد محمد، يطلب منه تسليم مدفعي المكسيم، و1500 بندقية مقابل عدم التعرض له من جديد وتوفير إقامة له ولأسرته وأتباعه بمنطقة (نوجال وهود)، لكن السيد محمد لم يرد على رسائله، وكان يفكر لما هو آت، وإعادة تنظيم قواته. انظر: جلال يحي ومحمد نصر مهنا، المرجع السابق ص 461 ، 462. ومرزوق عبد الصبور، المرجع السابق، ص 62 .

(51) معيوف علي محمود علي، المصدر السابق، ص 167. وانظر: و جلال يحي ومحمد نصر مهنا، المرجع السابق، ص 471 . و حجاج محمد فريد السيد، المرجع السابق ، ص 50 . و

-General Staff , War Office , Op , Cit , P 232.

(52) جلال يحي ومحمد نصر مهنا، المرجع نفسه، ص، 373 ، 374 .

(53)مرزوق عبد الصبور، المرجع السابق، ص 68 .

(54) السلطانان هما : يوسف علي (أوبيا)، وعثمان محمود (انجرتين)، للمزيد انظر: مرزوق عبد الصبور، ثائر من الصومال، المرجع نفسه، ص 67 . و

-Olive, Roland And Sanderson , Vol 6 , Op , Cit , P

(55) معيوف علي محمود علي، المصدر السابق، ص 67 . و

-John Slight , Op , Cit , P , 16 ,35 .

(56) Douglas Jardine , Ob , cit , P 197 .

وانظر : معيوف علي محمود علي، المصدر السابق، ص 221 . و إبراهيم عبد الله عبد الرازق، المرجع السابق، ص 202 .

(57) إبراهيم عبد الله عبد الرازق، المرجع السابق، ص 202 ، 203 .

(58) معيوف علي محمود علي، المصدر السابق، ص 222 .

(59) معيوف علي محمود علي، المصدر السابق، ص 223 . و جلال يحي و محمد نصر مهنا، المرجع السابق، ص 494 .

(60) مرزوق عبد الصبور، ثائر من الصومال، المرجع السابق ، ص 170 .

(61) وصل عدد الحصون والقلاع التي بناها السيد محمد وأتباعه إلى (16) قلعة، منها (9) داخل المحمية البريطانية بعضها يقع شرق (تالح Taleh) التي استقر فيها السيد محمد . انظر : معيوف علي محمود علي، المصدر السابق ص 243 .

(62) نشير إلى أنه في أعوام 1919م – 1920م شهدت الصومال جفافا كبيرا، مع غزوات للجراد، وانتشار مرض الكوليرا... انظر : جلال يحي ومحمد نصر مهنا، المرجع السابق، ص 502 .

(63) معيوف علي محمود علي، المصدر السابق، ص 265 .

(64) Jardine Douglas , Op , Cit , P 272

(65) Jardine Douglas , Ibid , P 264

(66) معيوف علي محمود علي، المصدر السابق، ص 276 .

(67) Jardine Douglas , Ibid , P 270, 271 .

(68) Jardine Douglas , Op , Cit , P 271, 272 .

(69) يذكر البعض أن من بين القتلى 7 من أبنائه و7 آخرين من أقاربه بالإضافة إلى 4 من مستشاريه و بعض أعوانه مثل : الحاج سعودي، وإبراهيم بوجهول قائد قواته في المنطقة الشمالية. أنظر معيوف علي محمود علي، المصدر السابق، ص278 .

(70) Jardine Douglas , Ibid , P 273, 278 .

(71) معيوف علي محمود علي، المصدر نفسه، ص 278 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

(72) Jardine Douglas , Op , Cit , P 299 . et Samatar, Said , Oral Poetry And Somali Nationalism, The Case Of Sayyid M.A.H. First Publish Cambridge University Press , 1982, P 135,136.

(73) Jardine Douglas , Ibid , P 286 .

(74) معيوف علي محمود علي، المصدر السابق، ص 281 .

(75) إبراهيم عبد الله عبد الرازق، المرجع السابق، ص 208 .

(76) نفسه، ص 209 .

(77) Jardine Douglas , Op, Cit , P 305 , 306 .

(78) كان أحد زعماء الجيش القبلي يدعى "وارابا Waraba " يطمع في الحصول على الجائزة المخصصة للقبض على السيد محمد قد فشل في ذلك، حيث أنه مع نهاية المعركة دخل كوخه و لم يجده فقد سبقه بوقت قصير متجها نحو منطقة (ايمي) انظر:

-Douglas Jardine , Ob , cit , P 306, 307. et Said Samatar , Op, Cit, P 136.

(79) معيوف علي محمود علي، المصدر السابق، 185. و مرزوق عبد الصبور، ثائر من الصومال، المرجع السابق ص 223 . و إبراهيم عبد الله عبد الرزاق، المرجع نفسه، ص 213 انظر : جلال يحي ومحمد نصر مهنا المرجع السابق، ص 503.و

-Said Samatar , Op, Cit, P 136.

(80) ليج إلياس : إمبراطور إثيوبيا تولى الحكم سنة 1913 م، نشأ نشأة إسلامية من طرف أبيه نجاشيا negus ، وبعد الحرب العالمية الأولى أعلن إسلامه، وأبدى تعاطفا كبيرا مع الصوماليين، فكانت له زيارة لهرر سنة 1916 م وانتقـــل إلى جيكجيكا وبنى بها مساجد، وتكوين جيش بالاوجادين وغيرها من الأعمال فكانت هذه فرصة للسيد محمد للتحالف معه ضد الأوربيين،إلا أن البريطانيون سارعوا مع حلفاءهم في تدبير مؤامرة للإطاحة بالإمبراطور ليج الياس، وكان لهم ذلك عندما تحين معارضوه المسيحيين فرصة تواجده بهرر واتفقوا على خلعه وتعيين هيلا سلاسي إمبراطور إثيوبيا. انظر : إبراهيم عبد الله عبد الرازق، المرجع السابق، ص 203 ، 204 .

(81) Patrick Kakawenzire, " Resistance , Revenue And Development In Northern Somalia" 1905-1939 ,The International Journal Of African Historical Studies , 19-04-1986 , N°4 WWW.Jstor.Org , P 659.

(82) عبد الصمد العشاب، "المجاهد محمد بن عبد الله حسن وأثره السياسي والثقافي في تاريخ الصومال المعاصر" مراجعة وتقديم. عبد الحميد عبد الله الهرامة، أعمال ندوة التواصل الثقافي والاجتماعي بين الأقطار الإفريقية على جانبي الصحراء، تنظيم كلية الآداب تطوان المغرب، كلية الدعوة الإسلامية طرابلس، منشورات كلية الدعوة الإسلامية طرابلس، ليبيا، 1998م، ص 503 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com